

الحلقة التاسعة والأربعون

مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. هل بإمكان الإنسان محو الذكريات المؤلمة؟ تحت عنوان علماء إيطاليون يقولون إن بإمكانهم محو الذكريات المؤلمة جاء التقرير التالي:

قال علماء إيطاليون إن الأبحاث التي أجروها مؤخراً يمكن أن تساعد على التخلص من الذكريات المؤلمة التي لا يرغب البعض الاحتفاظ بها في أدمغتهم. وذكرت وكالة الأنباء الإيطالية أن التجارب التي أجراها علماء في جامعة تورينو على الفئران أثبتت أنه بالإمكان تعديل الأصوات المخزنة في الدماغ بواسطة الصدمات الكهربائية.

وقال قائد فريق الباحثين ستراتا: الذكريات مثل أشياء سهلة العطب، تخزن في أجزاء معينة من الدماغ، وهي مثل متاهات الموزييك، مشيراً إلى أن الأمر قد يتطلب أياماً لخصن الأشياء الصغيرة، وساعات قليلة لإعادة ترتيبها. وأضاف ستراتا تمكنا من التدخل عند استعادة هذه الأجزاء وضمها إلى بعض من "قرن آمون الدماغ" ومقدمة قشرة الدماغ والمخيخ. مشيراً إلى أن أسوأ أنواع الذكريات هي التي يكون مصدرها المخيخ، وإذا تمكنا من إقفال ذلك الجزء يمكن عندها إجراء تعديل على الذاكرة.

إذا كان بعض العلماء الإيطاليين قالوا أن بإمكانهم محو الذكريات المؤلمة، فإن بعض اليابانيين يلجأون للبكاء للتخفيف من حدة التوتر. وهو ما جاء في التقرير التالي: الصراخ وحده لم يعد يكفي اليابانيين. فقد صاروا يبكون بالدموع هذه الأيام للتخفيف من حدة التوتر. وتزعم مجلة داكابوا الشهرية أن البكاء بالدموع يعطي المرء أكبر إحساس بالراحة يمكن أن يعرفه في حياته. واليابانيون المتعطشون للدموع لا يشعرون بالضرورة بالحزن، فالخبراء يقولون إن التحول إلى البكاء بالدموع يخفف الإحساس بالضغط. وفي استطلاع للرأي أجرته صحيفة "أساهي شامبيون" ذكر ربع من شاركوا في الاستطلاع وعددهم ١٨٥٨ شخصاً، أنهم يشعرون بأنهم صاروا في حالة أفضل بعد البكاء. وذكرت الصحيفة أنه يبدو أن الرغبة الشديدة في البكاء تتبع من غياب الإثارة في الحياة اليومية.

بالطبع كل منا له ذكريات مؤلمة ناتجة عن حوادث معينة مرّ بها، وكل منا ولأسباب عديدة يعتره التوتر. ولا بد أننا جميعاً نرغب في أن نتخلص من هذه الذكريات المؤلمة التي تعكر صفو حياتنا بين حين وآخر، وأن نحد من التوتر الذي يصيبنا. ويبقى استنتاج بعض العلماء بإمكانية محو الذكريات المؤلمة من الدماغ، مجرد افتراض نظري قد لا يمكن تحقيقه. أما دعوة البعض للتخفيف من حدة التوتر عن طريق البكاء، فإنه يبقى مجرد وسيلة قد يصعب على الكثيرين أيضاً اللجوء إليها.

هل تعلم يا صديقي أن أفعال الخطيئة هي من الأسباب الرئيسية للذكريات المؤلمة؟ فعندما يخطئ الإنسان، أو يقوم بعمل مشين، فإن هذا سيترك آثاراً بالغة، لا بل ندوباً ظاهرة في نفسه، تسبب له آلاماً شديدة. اللهم إلا إذا كان ميت الضمير. وكذلك فإن فعل الخطيئة سيجعل حياتنا متوترة بشكل مستمر. إن الإنسان الذي يكذب مثلاً، سيبقى خائفاً، وبالتالي متوتراً، من أن تأتي الأيام وتكشف أنه شخص كذاب وخادع للآخرين. وهذا ما ينطبق على كل الخطايا الأخرى. فهل هناك من وسيلة فعالة تمحي ذكرياتنا المؤلمة وخاصة تلك المتعلقة بأفعال الخطيئة؟ وتعمل في نفس الوقت على تخفيف حدة التوتر في نفوسنا؟

هل تعلم يا صديقي ماذا تخبرنا كلمة الله الحية كما جاءت في الكتاب المقدس بالنسبة لموضوع محي ذكريات الخطيئة المؤلمة والتوتر الناتج عنها؟ كتب النبي ميخا في نهاية سفره قائلاً: "من هو إله مثلك غافرٌ الإثمَ وصافحٌ عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسرُّ بالرأفة. يعود يرحمنا يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم." (ميخا: ٧: ١٨ و ١٩)

أجل، لا يوجد مثل إلهنا الله من يغفر الإثم ويصفح عن الذنب. فهو الوحيد القادر على أن يغفر آثامنا ويعفو عن ذنوبنا. وهو إن أتينا إليه بالتوبة والإيمان لن يبقى غاضباً منا. والسبب لأنه إله رؤوف وحنان، ولهذا يُظهر رأفته وحنانه علينا. وأضاف النبي ميخا قائلاً: إن الله هو الوحيد بالرغم من ذنوبنا ومعاصينا الذي يرحمنا بالكلية، إذ يدوس على آثامنا، أي يمحوها بالتمام. وليس هذا فحسب، بل إنه يطرح في أعماق البحر جميع خطايانا وذنوبنا، أي ينساها جميعاً. فهل هناك أعظم من هذا الإله المحب الحنان يا صديقي؟ وإذا كان الله نفسه يمحو ذنوبنا وينسى خطايانا فلماذا نذكرها نحن إذا كنا فعلاً قد تبنا عنها؟ أو ليست هذه أفضل وسيلة لكي نمحو ذكرياتنا المؤلمة ونخفف من حدة توترنا؟

أما النبي إشعياء فلقد كتب نيابة عن الله قائلاً: "أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها... قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك. ارجع إليّ لأني فديتك." (إشعياء: ٤٣: ٢٥ و ٤٤: ٢٢) يؤكد الله لنا أنه هو الذي سيمحو كغيمة ذنوبنا، وخطايانا كسحابة لن يعود يذكرها. فكما أن الغيم يزول بسرعة هكذا الله يمحو ذنوبنا، وكما أن السحابة تتلاشى وتندثر، هكذا الله يلاشي خطايانا ولن يعود يذكرها. فهل هناك إله محب وغفور مثل الله؟ بالطبع كلا.

هل تعلم يا صديقي أن الله من فرط محبته لنا ورغبته بغفران خطايانا، أرسل المخلص يسوع المسيح، كلمته الأزلي لكي يموت على الصليب كفارة عن خطايانا. وهكذا أصبح بمقدور أي شخص يؤمن بفداء المسيح لخطاياه، أن ينال الغفران التام والكامل عنها.

فلماذا لا تأتي صديقي إلى الله تائباً عن خطاياك، ومؤمناً بموت المسيح البديلي عنك على خشبة الصليب. وهكذا تنال هبة الغفران، ويمحو الله ذنوبك بالكامل، ولا يعود يذكرها أبداً. وعندها تستطيع أنت أيضاً أن تنساها، وأن تمحوها من ذاكرتك أيضاً. لما لا تصلي الآن صديقي مع النبي داود قائلاً: "ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رافتك أمح معاصي. اغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيتي طهرني. لأني عارف بمعاصي وخطيتي أمامي دائماً... قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي." (مزمور ٥١: ١-٣، ١٠).